المحاضرة الثالثة : وسائل المستشرقين

تعددت وسائل المستشرقين في الوصول لتحقيق أغراضهم ونشر أفكارهم الاستشراقية. وذلك لأنه أصبح استشراقا مبرمجا وراءه مؤسسات دينية أو سياسية أو اقتصادية تدعمه.

وقد أخذت هذه المؤسسات تغدق على المستشرقين بالأموال الطائلة ، والمناصب العالية والألقاب الرفيعة ، وحبست لهم الأوقاف ليتمكن العاملون في هذا المجال من أداء مهماتهم بيسر وسهولة.

فمن هذه الوسائل التي استخدموها :

١ ـ تأليف الكتب ، وتحقيق المخطوطات ، وإصدار الموسوعات العلمية الإسلامية والشرقية بوجه عام وغير ذلك.

أ ـ تأليف الكتب :

قام المستشرقون بتأليف الكتب في جميع العلوم العربية والإسلامية والشرقية مظهرين عليها طابع العلم المتجرد ولكن هذه الكتب لم تخل من دسهم فيها مقدارا من السم وإن كانوا حريصين كل الحرص أن لا يزيدوا على مقدار قدروه ، ونسبة عينوها حتى لا يستوحش القارئ ولا يثير ذلك فيه الحذر ، ولا تضعف ثقته بنزاهة المؤلف وهذا فيه صعوبة بالغة لرجل متوسط في عقليته أن يدرك هذه السموم لذا فتجده ينساق لها ويتأثر بهذه الكتابة. وكتابة هؤلاء أشد خطرا علينا ممن يجاهر بالعداء ويسفر عن ذلك في كتاباته فالحرص منه أسهل [١] وسيأتي ذكر مجموعة من هذه المؤلفات تحت مبحث خاص بها.

ب ـ تحقيق كتب التراث :

اهتم المستشرقون بعملية تحقيق كتب التراث في الشرق عامة والإسلام خاصة في كل موضوع من مواضيع القرآن الكريم والسنة المطهرة والسيرة النبوية العطرة ، والفقه والكلام.

كما تحدثوا عن تاريخ الإسلام ، والصحابة والتابعين الكرام ، والأئمة المجتهدين والمحدثين والفقهاء ، والمشايخ والصوفية ، ورواة الحديث وعن فن الجرح والتعديل ، وأسماء الرجال ، وحجية السنة ، وتدوينها ، ومصادر الفقه الإسلامي ، وتطوره في أسلوب لا يخلو عن التشكيك وإثارة الشبهات ، ويكفي لزعزعة العقيدة والترغيب عن الإسلام لرجل ليس له نظر عميق في هذا الموضوع ، [٢] وغالبا يشتركون في التحقيق مع بعض العلماء المسلمين ولكنهم يخفون أسماءهم لسبب أو لآخر.

ولا شك أن ما حققوه من تراثنا كان من أجل خدمة أغراضهم وأهدافهم وليتعرفوا على أسرار هذا الدين العظيم.

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية لأبي الحسن الندوي ص ١٩٠.

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية ص ١٩٠.

(٣) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، د / علي جريشة ومحمد الزبيق دار الاعتصام ، ص ٢٥ ـ ٢٦.

ج ـ إصدار الموسوعات العلمية :

ومما اعتنى به المستشرقون على اختلاف جنسياتهم إصدار الموسوعات العلمية عن الشرق وعلومه.

ومن أخطر هذه الموسوعات (دائرة المعارف الإسلامية) والتي صدرت بعدة لغات عالمية وقد كتبت بأسلوب علمي ميسر للمثقف العام مما جعلها موضع إقبال أبناء المسلمين أنفسهم. وقد حشد لهذه الموسوعة كبار المستشرقين ، وأشدهم عداء للإسلام ودس فيها السم بالدسم ، ونثرت فيها أباطيل كثيرة عن الإسلام والمسلمين.

ومن المؤسف أنها مرجع لكثير من المثقفين من أبناء المسلمين وكذلك لكثير من العلماء والمفكرين على ما فيها من خلط وتزييف وقلب للحقائق وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين.

وهناك موسوعات عامة : كالموسوعة الفرنسية (لاروس) والموسوعة البريطانية [1] ، وموجز دائرة المعارف الإسلامية ، وموسوعة معارف العلوم الاجتماعية ، ودائرة المعارف (الدين والأخلاق) وغيرها كثير.

د ـ صنع المعاجم اللغوية وغيرها :

كما اهتم المستشرقون بتأليف المعاجم وقد أفادوا كثيرا في هذا الجانب من المعاجم الإسلامية المتقدمة منهاجا ودقة فمنها :

أ ـ **معاجم دينية :** وهذه المعاجم بعضها اهتم بالآيات القرآنية مثل : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن وبعضها اهتم بالحديث النبوي الشريف كالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف.

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة ص ١٣٢ ـ ١٣٣ ، وحي الله ص ٢٥.

ب ـ معاجم لغوية : ومما اهتم به المستشرقون كذلك صناعة المعاجم اللغوية.

مثل : تاريخ الأدب العربي ـ بروكلمان ـ وهو مشهور في الأوساط الأدبية واللغوية والعلوم الإسلامية.

وكتاب تاريخ الأدب العربي وهو في سبع مجلدات تأليف «هامر بوجشتال» وقد ترجم ل (٩٩١٥) أديبا وشاعرا.

ومن أضخم هذه المعاجم معجم فينشك الروسي (١٩٠٢ ـ ١٩٣٩) وكانت مدة عمله له في ١٥ سنة وقد تمكن من تسويد (٣٠٠) ألف بطاقة وتوفي ولم يكمله.

ومن أعظمها انتشارا وأهمية معجم فيشر اللغوي الأدبي المقارن باللغات السامية القديمة والذي جمع فيه اللغة من ديوان امرئ القيس والقرون الثلاثة الأولى بعد الهجرة.

ج ـ معاجم عامة : مثل المعجم العام ل «هوبلر الفرنسي» ١٦٢٥ ـ ١٦٩٥ ومعجم الإسلام بالإنكليزية «هيوز» لندن ١٩٨٥ وغيرها [١].

ه ـ ترجمة الكتب الإسلامية للغاتهم :

كما اهتم المستشرقون بترجمة كثير من الكتب الإسلامية خاصة والشرقية عامة للغاتهم المختلفة والذي يزور مكتباتهم يجدها حوت كثيرا من تراثنا بكل فروع العلوم مترجمة إلى لغات القوم المتعددة ؛ وذلك ليسهل عليهم الرجوع لها ، ولأن الكثير منهم لا يجيدون العربية ولم تتح لهم الفرصة لتعلمها [٢] وعلى رأس هذه الكتب التي قاموا بترجمتها القرآن الكريم ـ لتزييف مفاهيمه وانتقاصها ـ وكتب السنة وعلى رأسها الصحيحان إلى غير ذلك من الكتب.

---

(١) في الغزو الفكري المفهوم ـ الوسائل ـ المحاولات للأستاذ نذير حمدان ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٢) انظر المستشرقون والإسلام ـ اللبان ص ٢٠ ـ ٢١.

٢ ـ إنشاء المطابع الشرقية :

دأبت البلاد الغربية على إنشاء المطابع التي تحوي الحروف العربية والعبرية والفارسية ، وغيرها ، حيث بدأت هذه المطابع عملها في إيطاليا ثم في فرنسا. ومن هذه المطابع في أسبانيا مطبعة مايستري في مدريد ومطبعة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد أيضا ، وفي النمسا المطبعة الإمبراطورية والمطبعة الشرقية للآباء المختارين. وفي هولندا مطبعة ليون وهناك كثير من هذه المطابع في مختلف أنحاء أوربا [١].

أما الهدف من إنشاء هذه المطابع وذلك لتسهل عليهم مهماتهم بإيصال أفكارهم إلى العالم الإسلامي بسهولة ويسر.

٣ ـ إنشاء الجمعيات وإصدار المجلات والصحف :

من الأمور التي اهتم بها المستشرقون لبث أفكارهم وتحقيق أغراضهم إنشاء الجمعيات الاستشراقية وإصدار المجلات والدوريات فقد زاد عدد هذه المجلات وحدها عن (٣٠٠) مجلة خاصة بالاستشراق ، عدا المئات من مجلاتهم العامة التي تتعرض له في موضوعاتها العامة ، كمجلة القانون المقارن ومحفوظات التاريخ ، ومباحث العلوم الدينية وهي تنتشر بعدة لغات عالمية والتي ينشر فيها مباحث ومخطوطات ووثائق وغير ذلك [٢] من الدراسات المختلفة.

أ ـ أنشأ الفرنسيون جمعية من المستشرقين سنة ١٧٨٧ م وألحقوها سنة ١٨٢٠ بالجمعية الآسيوية الفرنسية تعاضدها وتتعاون معها ، ثم أصدرت هاتان الجمعيتان (المجلة الآسيوية) ومن المجلات الفرنسية المشهورة التي علا صيتها

---

(١) المستشرقون ومشكلات الحضارة ، د. عفاف صبره ص ٣٢.

(٢) المستشرقون. العقيقي ج ٣ ، ص ٣٧٧.

(مجلة العالم الإسلامي) وهذه المجلة تتجه اتجاها تبشيريا (كاثولوكيا) وقد كان ظهورها في سنة ١٩٠٦ م بإدارة المسيو «الفرد لوشاتليه» الأستاذ في كلية فرنسا.

ب ـ في إنجلترا تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية عام ١٨٢٣ م ، وقد كان ملك إنجلترا الرئيس الفخري لها وقد صدر عنها مجلة (الجمعية الآسيوية الملكية).

ج ـ في أمريكا أنشأ الأمريكيون سنة ١٨٤٢ م جمعية ومجلة. فقد كانت الجمعية باسم (الجمعية الشرقية الأمريكية).

أما المجلات التي أصدرها الأمريكيون في هذا القرن ـ منها مجلة (جمعية الدراسات الشرقية) وكانت تصدر في مدينة «جامبير» في ولاية أوهايو ، ولها فروع في معظم عواصم أوربا في لندن وباريس وغيرها. ومثلها مجلة (شئون الشرق الأوسط) ومجلة (الشرق الأوسط) وطابعها كلها على العموم طابع الاستشراق السياسي.

ومن أخطر المجلات التي يعنى بها المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر (مجلة العالم الإسلامي) التي أنشأها زعيم المستشرقين المنصرين «صمويل زويمر» في سنة ١٩١١ م وهذه المجلة تعنى بالاستشراق التنصيري وذلك لتشجيع الإرساليات التنصيرية (البروتستانت) وتناولت القضايا التي تتصل بتنصير العالم الإسلامي [١].

وسأذكر بعض هذه المؤسسات التعليمية الاستشراقية.

أ ـ إنشاء المدارس :

اهتم المستشرقون بالمدارس ذات الطابع التبشيري ، والمدارس الحديثة التي أسست على مفاهيم غربية ، حيث وضعوا لها المناهج الخاصة وزودوها بمدرسين ذوي مهمة خاصة ليربّوا عليها النشء بطريقتهم الخاصة.

وإنشاء هذه المدارس مهمة ذات اتجاهين : تبشيرية استشراقية ؛ لأن الاستشراق مغذ لروح التبشير والعقل المدبر له ، فمن المدارس الغربية ذات الطابع التبشيري :

١ ـ أسس البابا «سلفستر الثاني» مدرستين عربيتين لتدريس اللغة العربية والحضارة الشرقية ، وكانت الأولى في «روما» في مقر بابويته ، والثانية في راميس وطنه ، ثم أضاف بعد ذلك مدرسة ثالثة وهي مدرسة «شارتز».

٢ ـ مدارس خاصة لأغراض سياسية :

أ ـ المدارس العربية ومعهد «بريل» في مدينة ليون ب (هولندا).

ب ـ مدرسة أكسفورد في إنجلترا.

ج ـ مدرسة القناصل الإمبراطورية الملكية في النمسا

---

(١) التبشير والاستعمار ـ مصطفى الخالدي ص ٩٨.

أما في البلاد العربية والإسلامية فقد اهتم المستشرقون بإنشاء المدارس الخاصة بهم والتي تخدم أغراضهم. من هذه المدارس :

أ ـ مدارس الفرير في سوريا والأردن.

ب ـ ومدارس دي لي سال ، وتراسانتا في الأردن.

ج ـ ومدارس سان فنستان دي بول في القاهرة.

د ـ والمدرسة الشرقية في تركيا.

ه ـ الكلية اليسوعية والتي حول اسمها إلى الكلية الأمريكية في لبنان ومصر ولا تزال.

و ـ مدرسة اللائيك في حلب.

ز ـ مدرسة الأرض المقدسة في حلب.

وغيرها كثير في بلاد العالم الإسلامي المترامية الأطراف.

ب ـ إنشاء المعاهد :

أما المعاهد فهي كثيرة وهي في العالمين الغربي والعربي وهذه المعاهد في الغالب تكون تابعة لجامعة من الجامعات في العالم الغربي.

فمن ذلك معهد الدراسات الشرقية في لندن الذي أنشأته الحكومة البريطانية سنة ١٩١٧ م ومهمة هذا المعهد إعداد رجال ونساء يخدمون وطنهم في الشرق إمّا في السلك السياسي أو التجاري ، أو في دوائر الحكومة وراء البحار ، أو في ميادين الثقافة.

أما في المنطقة العربية فقد أنشأ الألمان «معهد جوته الألماني» في القاهرة ، وأنشأ الفرنسيون «المعهد الفرنسي للآثار الشرقية» في القاهرة ، ودمشق ، وطهران ، وتونس.

ج ـ إنشاء الكراسي الجامعية :

وقد حقق هذا اللون من النشاط غاية ما تصبو إليه أنفس المتحاملين من المستشرقين ومن أمثلة هذا اللون من النشاط :

١ ـ كرسي للدراسات الشرقية بجامعة سانت أندريز سنة ١٩٦٨ م وقد أسست هذه الجامعة في مدينة لا باس في بوليفيا عام ١٨٣٠ م.

٢ ـ كرسي للدراسات الإسلامية بجامعة كمبردج. وبها كرسي آخر تأسس عام ١٩٣٢ م تعهد توماس أدافر رئيس بلدية لندن بتمويله.

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية زقزوق ص ٥٩ ـ ٦٠ ، وأخطار الغزو الفكري د / صابر طعيمة ص ٨٩ ، والمستشرقون ومشكلات الحضارة ص ٣٠ ـ ٣١.

(٢) أجنحة المكر الثلاثة ص ١٣٢.

٣ ـ مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية في جامعة لندن وهو باسم مركز الدراسات الآسيوية والأفريقية ، ومركز للدراسات الشرقية بجامعة مانشستر والذي تموله دولة عربية وكثير من الجامعات فتحت مثل هذا اللون من النشاط الاستشراقي

الجامعات في الدول الإسلامية :

١ ـ الجامعة الأمريكية في بيروت وهي الكلية السورية الإنجيلية والتي أنشئت سنة (١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م) وفروعها في تركيا والقاهرة.

٢ ـ جامعة القديس يوسف في بيروت (١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م) أنشأها اليسوعيون بدعم من فرنسا (١).

---

(١) في الغزو الفكري ـ نذير حمدان ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٣.

أبرز المستشرقين اليهود

١ ـ جولد تسيهر اليهودي المجري وكتبه كلها مليئة بالافتراءات والأباطيل ضد الإسلام. مثل كتابه : (العقيدة الإسلامية) و (مذاهب التفسير الإسلامي) ولنا وقفة طويلة مع افتراءاته في موطنها من الرسالة.

٢ ـ مكسيم رودنسون ـ يهودي ماركسي ـ ألف كتابا بالفرنسية عن محمد ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ والكتاب مشحون بالافتراءات الاستشراقية على الرسول ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ ورسالته وكثير من هذه الافتراءات مستمدة من التفسير المادي (الاقتصادي) للتاريخ عند «كارل ماركس».

ومن التحليل النفسي (الجنسي) للإنسان عند سيجموند فرويد ـ وكلها افتراءات ساقطة مبتذلة نعف عن مجرد ذكرها (٣).

٣ ـ دافيد سانتلانا (١٨٥٥ ـ ١٩٣١ م) يهودي سياسي جامعي. ولد في أسرة يهودية في تونس ومن أصل أسباني قديم وأسرته تحمل الجنسية الإنكليزية. كان أبوه قنصلا بريطانيا في تونس. وحاول (سانتلانا) أن يقيم تشابها بين الفقه الإسلامي وبين القانون الروماني والقانون الأوربي الحديث.

مع أن هذه المحاولة لا يقوم عليها دليل ، أو حجة سليمة فقد خدمت روحه وتطلعاته الاستشراقية انكلترا وإيطاليا وفرنسا معا.

وكان أكثر اهتماماته بالحركة الصوفية ورجالها ومبادئها وربطه بالتصوف اليوناني الأفلاطوني والتصوف المسيحي (١) ... إلخ.

٤ ـ «ليفي بروفنسال» في المغرب العربي. يهودي فرنسي استعماري وكان أستاذا جامعيا في جامعة (تولوز) في باريس ولد في الجزائر العاصمة من أسرة يهودية ، وشب على أيدي كبار المستشرقين الفرنسيين أمثال : «رينيه باسيه» و «جيروم».

واستطاع بذكائه الماكر أن يخفي مشاعره اليهودية ، على الرغم من تورطه في كثير من كتاباته في الإساءة للإسلام والتنصير من مجتمع المسلمين مما حقق له ولأمثاله لمعانا وشهرة في مجتمعاتهم وبين قومهم.

وقد ركز في كتاباته على إهمال البعد الديني في انتشار الإسلام السريع والمبكر في العالم حينذاك زاعما أن ذلك لحب السيطرة وجمع الثروة ، وبخاصة في الأندلس والمغرب العربي ، وقد صور العرب طبقة أرستقراطية خاصة في الأندلس (٢).

٥ ـ بول كراوس (١٩٠٤ ـ ١٩٤٤) تشيكي سياسي جامعي صهيوني (٣). وغير هؤلاء كثير.